﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢﴾ [طه: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

السِّرّيَّةُ عند النِّزاعِ تصونُ العلائقَ وتُمهِّدُ لِلوِفاقِ والودِّ

بعد أن أخبرَ في الآية السابقة عن مقالِ موسى ونُصحِه لهم في افتتاحيَّة الحَدَثِ أمام الحشود الحاضرة؛ ذكَر في هذه الآية ما ترتَّب على ذلك من التنازع السِّرِّيِّ الحاصل بين فريق السَّحرة؛ ليستخرجوا بيانًا يُعلنوا فيه موقفَهم قبل بدءِ المناظرة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾: أَصْلُ الكلمةِ مِنَ النَّزْعِ، وهو: القَلْعُ والجَذْبُ، يُقالُ: نَزَعَ الشَّيْءَ مِن مَكانِه؛ إذا قَلَعَهُ، وجَذَبَهُ، وضِدُّه: التَّوافُقُ والاتِّحادُ[1]، والتَّنازُعُ: الاخْتِلافُ والتَّخاصُمُ، يُقال: تَنازَعَ القَوْمُ، أيْ: تَخاصَموا، واخْتَلَفوا، ويأتي بمعنى التَّجاذُبِ والتَّدافُعِ، والمُنازَعَةُ في الخُصومَةِ: مُجاذَبَةُ الحُجَجِ ومُدافَعَتُها بين الخَصْمَيْنِ[2]، ومِن مَعاني التَّنازُعِ أيضًا: التَّسارُعُ، والتَّسابُقُ[3]، والمُرادُ بالتَّنازُعِ في الآية: التَّخالُفُ[4].

2) ﴿وَأَسَرُّواْ﴾: (سرّ) أَصْلٌ يدلُّ على إخْفاءِ الشَّيْءِ، وما كانَ مِنْ خالِصِه ومُسْتَقَرِّه، لا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْهُ عن هَذا[5]، فالسِّرُّ: ما يُكْتَمُ في النَّفْسِ، يُقالُ: أَسَرَّ الشَّيْءَ، أيْ: أخفاهُ، وكَتَمَهُ، وضِدُّهُ: الإعْلانُ، ويُستَعْمَلُ في الأعيانِ والمَعاني، يُقال: أَسْرَرْتُ إلَيْه كَلامًا، أيْ: أَخْبَرْتُهُ به خُفْيَةً، وسِرُّ كُلِّ شَيْءٍ: جَوْفُهُ وداخِلُهُ، والجَمْعُ: أسْرارٌ وسَرائِرُ[6]، والمُرادُ بالإسرارِ في الآية: إخْفاءُ الكَلامِ عن أَنْ يَسْمَعَهُ سامِعٌ.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نزع).
(2) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(3) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 251.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرّ).
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجواهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (سرر).

3) ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾: (نجو) أَصْلٌ يَدُلُّ على سَتْرٍ وإِخْفاءٍ، فالنَّجْوُ والنَّجْوى: السِّرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وقيل: أصلُهُ مِنَ النَّجاةِ، وهو أن تَنْجو بسرِّك مِنْ أنْ يطَّلع عَليك، وناجَيْتُهُ، وتَناجَوا، وانْتَجَوا، وهو نَجيُّ فُلانٍ، وانْتَجَيْتُهُ: اخْتَصَصْتُهُ بمُناجاتي، والنَّجيُّ: المُناجي، ويُقالُ للواحدِ والجَمعِ، قال تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: 52][1]، والمقصود بالنَّجوى في الآية: الحَديثُ السِّرّيُّ، أَي: اخْتَلَوا، وتَحادَثوا سِرًّا ليَصْدُروا عن رَأْيٍ لا يَطَّلِعُ عليْه غَيْرُهُم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كَلِمةُ الحَقِّ تؤثِّرُ إذا صـدرت من إنسانٍ مُخلِصٍ

بعد أن سمع السحرةُ من موسى نصيحتَهُ لهم وتهديدَهُ إيَّاهم بالاستئصالِ والهلاك؛ اختَلَفوا، وتجاذَبوا الحديثَ سِرًّا فيما بينَهم، وبالَغوا في إخفائِه مِن فِرعَونَ، وقالوا: إن كان ما جاء به سحرًا، فسنغلبُهُ، وإن كان من عند الله؛ فسيكون له أمرٌ، وهذا حقٌّ وصدقٌ لا شيءَ فيه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ جملة: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ ممَّا قبله:

النِّزاع ينشأُ من ضـعـفِ الـرَّأي الـــذي عـلـيـه الجماعةُ

الفاءُ في جملة ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ في معنى السببيَّةِ، لتفريعِ تنازعِهم على مقالة موسى بالترهيب في قوله: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ﴾، أي: بسبب ذلك القولِ الرَّهيب الذي أرهبَهم؛ تنازعوا أمرهم، أي: تجادلوا مختلفين غير متَّفقين[3].

مرجعُ الضمير في: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾:

الضَّميرُ في قوله: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ الظاهر عوْدُهُ على السَّحرة[4]؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (نجو).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 251.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4745.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 377.

لأنَّهم المعنيّون الأوَلُ بمقالة موسى في ترهيبهم بالويل والنَّهي، ويكون معنى تنازعِهم: انقسامَهم حول موسى عليه السلام بعدما قال ما قال، فمنهم يقول: إنَّهُ محقٌّ، ومنهم من يقول: إنَّهُ مبطلٌ، ومنهم من يقول: نؤمنُ به إن ظهرَ أنَّهُ غيرُ ساحرٍ، والخلاصةُ: أنَّهم اختلفوا حول موقفهم من موسى وما يكون منه في مجريات المناظرةِ بما تقتضيه العادةُ في إثارة المناظراتِ أثناء انعقادِها للموضوعات التي تُبعثُ بالمناقشة والمجاذبةِ بين صفوف الفريق الواحد، مثلما نراه في تحلُّقِ كلِّ فريقٍ حول مدرِّبِه ومديره قبل التلبُّس بالجولةِ والمنافسةِ، ويجوز أن يعودَ الضَّمير على منظّمي الحدَث، وهم فرعونُ والملأ[1]، ومعنى تنازعِهم: اضطرابُهم في الحوار والنَّظر بعد مقولة موسى التي افتتح بها اللقاءَ، ويصحُّ أن يدخلَ معهم في الضمير السَّحرة، فإنَّه لا يخلو أن يكون مُمثِّلًا عنهم بمجلس فرعون وحاشيته أثناء التنازع.

إظهارُ الحقيقةِ مؤذنٌ بقلقلةِ مراكزِ الباطل

مرجعُ الضَّميرِ في: ﴿أَمۡرَهُم﴾:

الضَّميرُ في قوله: ﴿أَمۡرَهُم﴾ الظاهرُ عَوْدُهُ على السَّحرة، أي: أمرُ أنفسِهم فيما هم بصدده، ويمكنُ أن يعودَ الضَّميرُ على فرعونَ وملَئِه، ولا مانع حينئذٍ في دخول السَّحرةِ معهم.

أهلُ الباطلِ يتآمرونَ مِن أجلِ إنفاذِ باطلهم

معنى الإضافةِ في: ﴿أَمۡرَهُم﴾:

إضافةُ الأمرِ إلى ضمير السَّحرةِ من شأنه أن يكشفَ مدى انشغالهم به، وأنَّه استولى على تفكيرِهم ووسعهم حتّى بات مُضافًا إليهم، كأنَّهُ مختصٌّ بهم.

تنازُعُ السَّحرةِ في أمرِ موسى عليه السلام يكشفُ خوفَهم منه

تفكيكُ الضَّمائر السائغ في التَّركيب:

يصحُّ إجراءُ تفكيك الضمائرِ بتباينها في مَرجِعها في الآية، لعدم إخلاله بالنَّظم والمعنى، فالضَّمير في قوله: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ يعود

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 377.

تباينُ الضمائرِ في مُفَسِّرِها سائغٌ عند صلاحية المعنى

على السَّحرة، وأمَّا الضمير في: ﴿أَمْرَهُم﴾، فيصحُّ عَوْدُهُ على موسى وهارون، على أنَّ أقلَّ الجمعِ اثنان، أو على التعظيم، أي: فتنازعَ السَّحرةُ أمرَ موسى وما ظهر منه، أي: اختلفوا في تقييمه ووجهة النَّظرِ حوله، وبذلك ينفكُّ الضميران في اللَّفظين في مَرجِعهما، وهو تفكيكٌ وتفريقٌ سائغ لصلاحيَّته في المعنى[1].

الكنايةُ في التَّعبيرِ بالتنازع:

التنازعُ المُفضي إلى الاتِّفاق محمودٌ

التَّعبيرُ بالتنازع في قوله: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ كنايةٌ عن لازِمه من الانقسام والاختلاف وعدم الاتِّفاق، ولا يلزم منه أنَّهم ظلّوا متنازعين، بل ابتدؤوا النِّقاش كذلك، وإن آلَ أمرُهم إلى غيره.

الاستعارة التمثيليَّةُ في: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾:

التنازعُ اجتذابُ الرأي على إرادة الاستئثارِ به

في قوله: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ استعارةٌ تمثيليَّةٌ، بتشبيه حالهم في اختلاف الرأي ومحاولةِ كلِّ صاحبِ رأيٍ أن يقنع المخالفُ له بأنَّ رأيَهُ هو الصّواب، بهيئة من يجذِبُ الثوب عن جسد غيره يريدُ أن ينزعَهُ عنه، فكذلك المتنازِعُ يريد أنْ ينزِعَ الرأي عن صاحبه، ليُقنِعَهُ برأيه، والتنازُعُ مُفاعلَةٌ تدلُّ على المشاركة والمُطاوعة[2].

دلالةُ الظرفيَّة في: ﴿بَيْنَهُمْ﴾:

السِّرارُ لا ينفكُّ عن البينيَّةِ الخاصَّة

التَّعبيرُ بالظَّرف ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يدلُّ على عموم التفاعل والتداوليَّة في محلِّ النِّزاع، لكن في حيِّز الطائفة الخاصَّةِ المتنازِعة لا يشترك معهم فيها غيرهم[3]، فالعموم لكلِّ أفرادِ الخاص، لا لكلِّ أفرادِ الحاضرين، وعلى إحاطتهم له وتحلُّقِهم حوله، بما يمهِّد لمعنى السريَّة في الحوار، ويُشعِر به.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 377.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 251.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 251.

موقعُ جملةِ: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ ممَّا قبلَها:

جملةُ: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم جمعوا بين حال التنازع وحال الخفاءِ، فتنازُعُهم محكومٌ بالسريَّة.

التنازُعُ الخفيُّ أملَكُ للتسوية والحسم من النزاع المُعلَنِ

دلالةُ الجمعِ بين الإسرار والنَّجوى:

الجمعُ بين الإسرار والنَّجوى بجعلِ النَّجوى معمولًا لـ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ يفيدُ المبالغةَ في الكتمان، كأنَّه قيل: أسرّوا سرَّهم؛ لأنَّ المناجاةَ ذاتها إسرارٌ، ومعنى إسرارها: المبالغةُ فيها بحيث لا يستطيع أحدٌ أن يطَّلع عليهم، ولا يعرف ما أسرّوه[1].

الكتمانُ يعصِمُ من مُضاعفة المخاطِرِ

المجازُ المرسلُ في: ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾:

يصحُّ أنْ يكونَ المرادُ بالنّجوى مطلقَ الكلام[2]، فأطلق الخاصَّ، وأراد العام على طريقة المجازِ المرسلِ، علاقتُهُ الخصوصُ، والأصلُ الحملُ على الحقيقة، لكن ساغَ هنا المجازُ لقرينة إسنادِ الإسرار إلى نفْسِ معناه، فمن تصوَّرَ فيه تحصيلَ الحاصل؛ قالَ بالمجاز.

النَّجوى كلامٌ سريٌّ

دلالةُ ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ بين الاسميَّة والمصدريَّة:

يصحُّ أن يكونَ لفظُ ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ مصدرًا، فالمرادُ به الحدثُ، وهو المعنى المجرَّدُ الذي أظهره، وأبانه فِعلُ المُناجي بالإسرار، ويصحُّ أن يكونَ اسمَ مصدرٍ، وهو مادَّةُ الحوار التي أسرّوها، فهو اسمٌ لِما أسرّوه، والمعنى على المصدر لتأكيدِ الحدثِ، كأنَّه قيل: (أسرّوا إسرارًا)، والمعنى على اسم المصدر: المبالغةُ في كتمان الشَّيءِ الَّذي أسَرّوه (سِرّهم)[3].

التَّكامُلُ الدَّلاليُّ بين المصدر واسمه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 251، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4745.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 164.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 377.

الكنايةُ في تركيبِ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾:

السّواءُ النَّفْسي يميلُ بالمرء إلى حسنِ القصدِ والاختيار

قولهُ: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ كنايةٌ عن رغبتِهم في التَّحرّي والاتِّفاق بعد تردُّدهم وتنازُعهم، وهو إشارةٌ إلى أنَّ فيهم خيرًا وأهليَّةً تميلُ بهم إلى حسنِ الاختيار وقصد المعروف[1].

حذْفُ متعلِّقِ الإسرارِ:

إسرارُ النَّجوى عن موسى عليه السلام

في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ حَذَفَ النَّظمُ القرآنيُّ المتعلَّقَ، فلم يحدِّدْ أسرّوا النجوى في أيِّ شيءٍ؟ أو أسرّوا النجوى عن مَن؟ لإرادة الإطلاقِ، لصلاحيَّتِه في أكثر من تقديرٍ، فإذا كان الإسرار من السَّحرةِ - وهو الظَّاهر - فقد أسرّوا عن موسى عليه السلام لأنَّه خصمٌ لهم، فأوَّلُ ما يقع كتمانُهم عنه، ثمَّ يُحتمل أن يقع إسرارُهم عن فرعون أيضًا؛ لئلَّا يطَّلع على اختلافِهم المؤذنِ بتردُّدهم في حال موسى، فيقع الإضرارُ بهم منه، وفيه: أنَّهم كانوا في رهبةٍ من فرعونَ، وحيرةٍ من موسى، ولذا أسرّوا عنه عليه السلام وعن فرعونَ على الاحتمال، والمقطوع به إسرارُهم عن موسى لموقعه في المناظرة، وإسرارهم عن فرعون محتمَلٌ؛ لأنَّهم في محلِّ الرصد، ولا يخلو فريقُهم من وجود مُمَثِّلٍ عنهم هو عَيْنُ فرعون فيهم، يُطلِعُهُ على كلِّ تفصيلٍ؛ لخطورة الحدَث وجَلَلِه، فلا يفوت الملك شيءٌ منه، وإذا كان الضَّمير لفرعون وقومه، فإسرارُ النَّجوى كان عن موسى عليه السلام على القطع، وكان عن السَّحرةِ على الاحتمال للعلَّة السابقة، والله أعلم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإسرار والإخفاء:

الإخفاءُ في الأعيان والمعاني، ويَغْلُبُ الإسرارُ في المعاني

الإسرارُ هو إنزالُ الشَّيء منزلةَ السِّرِّ، والسِّرُّ: هو إخفاء الشَّيءِ في النَّفْس، ويُقال: في هذا الكلام سِرٌّ، تشبيهًا له بما يُستودَعُ في

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 9306.

النَّفْس، ولذا غلبَ استعمالُه في المعاني دون الأعيان، فلا يُقال: أسررتُ تحتَ الثيابِ قطعةَ خُبْزٍ، بل يقال: أخفيتُ، والإخفاءُ: هو سَتْرُ الشَّيءِ عن الحواسِّ، فلا يُرى، ولا يُسمَع، وكما يُستعمل في الأعيان يُستعمل في المعاني؛ ولذا أسندَ إلى الصُّدورِ، كقوله: ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 19]، واستُعمِل في عمومِ كلِّ مَخْفيٍّ، كقوله: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة: 1]، فالإخفاءُ أعمُّ من الإسرار[1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية: 447 - 533، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (خفى، سرر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»